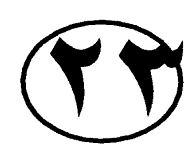
قصصُ الأنبياءِ للأطفالِ



مُحَمَّد

(صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسلَّم)

الجزء الثانى

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:

قصص الأنبياء للأطفال
(محمد ﷺ - ٢)

المؤلف:

ناصر عبد الفتاح

الناشر:

دار
التقــوى
للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس - القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣

المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يجوز إعادة طبع أو اقتباس جزء منه بدون إذن كتابى من الناشر.

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2

كمبيوتر:
آرمس - ت: ٧٩٦٤٤٠٤

رحلةُ الطائف

فارقَ أبُو طالبٍ الدنيا ، ثُمَّ لَحقتْ بِه السيدةُ خديجةُ فِي عامٍ واحدٍ ، فاشتدَّتِ الأحزانُ بالنبيِّ ﷺ حتَّى عُرِفَ ذَلك العامُ بعَامِ الحُزْنِ ، وَتجرَّأَ المشركُونَ عَليه أكثرَ مِنْ ذِى قَبلُ ، واشتدَّ إِيذاؤُهُمْ لهُ .

خرجَ النبيُّ ﷺ حزينًا وكأنَّهُ يحملُ جَبَلاً مِنَ الهُمومِ ، سارتْ بِه قدمَاهُ إِلَى الطائِفِ كَيْ يدعُوَ أهْلهَا إِلَى دينِ اللهِ بعدَ أنْ خَذلَهُ قومُهُ وآذَوْهُ .

دفَعَتهُ قدمَاهُ لأحَدِ الأحْيَاءِ واستَقْبَلهُ ثلاثَةٌ مِنْ سَادَةِ القَوْمِ ، اقتربَ النبيُّ ﷺ منهُمْ ، ودعَاهُمْ إِلَى دينِ اللهِ وهَجْرِ عبادَةِ الأصنامِ ، تغيَّرَتْ وجوهُ القومِ مِنَ الغَضَبِ وسَخِرُوا مِنْ كَلامِ النبيِّ ﷺ وطَالبُوهُ بمغَادرةِ الحيِّ .

لمْ تمْضِ دقائِقُ إلاَّ وامتَلأَ المكانُ بعشَراتِ الصِّبْيةِ اجْتمعُوا مِنْ كُلِّ مكانٍ ، وامتدتْ أصابِعُهُمُ الصغيرةُ تلتَقطُ أحجَارًا صغيرَةً وترمِى بِهَا النبيَّ ﷺ .

ابتعدَ محمدٌ ﷺ عَنِ الحيِّ ، وألقَى بجسدِهِ إِلَى جِدَارِ بستانٍ ،

ورفعَ يديْه إلَى السَّمَاءِ داعيًا : « اللَّهُمَّ إنِّى أشكُو إليْكَ ضعفَ قُوتى وقِلَّةَ حيلَتى وهَوانى عَلى الناسِ يا أرْحَمَ الراحمينَ ، أنتَ ربُّ المستضعَفينَ وأنتَ ربِّى ، إلَى مَنْ تَكلُنى ؟ إلى بعَيدٍ يتجَهَّمُنى ؟ أمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكتَهُ أمرِى ؟ إنْ لَمْ يكُنْ بكَ عَلىَّ غَضبٌ فلاَ أبَالى ، ولكنَّ عافيتَكَ هىَ أوسَعُ لِى . أعوذُ بنُورِ وجْهكَ الذى أشرَقتْ لَهُ الظُّلُماتُ ، وصَلُحَ عليه أمرُ الدنيَا والآخِرَةِ منْ أنْ تنزِلَ بِى غضبَكَ أوْ يَحلَّ علىَّ سَخطُكَ ، لكَ العُتْبى حتَّى تَرْضىَ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بكَ » .

جلسَ النبىُّ ﷺ يدعُو والشُّجَيْرَةُ تحنُو عليه بظِلِّهَا ، واقتَربَ شَابٌّ منْهُ ، إنَّهُ عَدَّاسٌ خادمُ عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابنىْ رَبيعةَ ، وقَدْ أمَراهُ بتقديمِ عنبٍ إلَى ذلكَ الضَّيْفِ ، تناولَ النبىُّ ﷺ قطفَ العنَبِ بيدِهِ الشريفَة ، ثُم قالَ : بِسْمِ الله . تعَجَّب عَدَّاسٌ ، ونظَرَ إلَى وجْهِ النبىِّ ﷺ وقالَ : والله إنَّ هَذا الكَلامَ مَا يقولُهُ أهْلُ هذهِ البلادِ .

تساءَلَ النبىُّ ﷺ : ومنْ أىِّ البلادِ أنْتَ يا عدَّاسُ ؟ ومَا دينُكَ ؟

قالَ عدَّاسٌ : نَصْرانىٌّ ، وأنَا رجُلٌ منْ نِينَوى .

قالَ الرَّسولُ ﷺ : منْ قريةِ الرجُلِ الصالحِ يونُسَ بنَ متَّى .

تساءَلَ عَدَّاسٌ : ومَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى ؟

قالَ الرَّسولُ ﷺ : ذاكَ أخي ، كانَ نبيًّا وأنَا نَبيٌّ .

فانكَبَّ عدَّاسٌ علَى النبيِّ ﷺ يقبِّلُ رأْسَهُ ويَديْهِ وقدَميْهِ ، فقالَ ابنُ ربيعَةَ لأخيهِ : أمَّا غُلامُكَ فقدْ أفسَدهُ عليكَ .

وعَادَ عدَّاسٌ فقالاَ لَهُ : ويْلَكَ يَا عَدَّاسُ . . مَا لكَ تُقَبِّلُ رأسَ ذلكَ الرجُلِ ويَديْهِ وقدَميْهِ ؟

قالَ عَدَّاسٌ : يَا سيِّدى . . مَا فى الأرضِ شَىءٌ خيْرٌ منْ هذَا ، لقدْ أخْبَرنى بأمْرٍ مَا يَعْلمُهُ إلاَّ نبيٌّ .

قالاَ لَهُ : ويْحَكَ يا عَدَّاسُ ، لا يصْرِفَنَّكَ عَنْ دينِكَ ، فَإنَّ دينَكَ خَيْرٌ منْ دينِهِ .

ولَمْ يترُكِ اللهُ تعالَى نَبيَّهُ وحْدَهُ ، فقد اختَرقَ دعاؤُهُ أبوابَ السَّماءِ وهَبطَ الأمينُ جبريلُ ونَادىَ النبيَّ ﷺ : « إنَّ اللهَ قدْ سَمِعَ قولَ قومِكَ لكَ ، ومَا رَدُّوا عليكَ بهِ ، وقَد بَعثَ اللهُ إليْكَ مَلَكَ الجبَالِ لتأمُرَهُ بمَا شئْتَ فيهِمْ » .

ونَادَاهُ مَلَكُ الجبالِ فسَلَّمَ عليهِ ، ثُمَّ قالَ : « يَا محمدُ ، ذَلكَ فَمَا شئْتَ ، إنْ شئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخْشَبيْنِ » (الجَبَليْنِ) .

فقَالَ النبيُّ ﷺ : « بَلْ أرجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ عزَّ وجلَّ منْ أصْلابِهِمْ منْ يعبُدُ اللهَ عزَّ وجلَّ وحْدَهُ لا يُشرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

وصَعدَ الملَكَان ، وَواصَلَ النبىُّ ﷺ طريقَهُ إلَى مكَّةَ حتَّى بلغَ وادى نخلَةَ وأقَامَ فيهِ أيَّامًا ، وهناكَ استَمعَ إليهِ نَفرٌ مِنَ الحىِّ وهُو يقْرأُ القُرْآنَ فآمنُوا به .

قالَ تعالَى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) ﴾ [الجن]

عَادَ النبىُّ ﷺ إلَى مكَّةَ فِى جوَارِ (حِمَايةِ) المُطْعِمِ بنِ عَدىٍّ ولَمْ يجرُؤْ أحَدٌ مِنْ مشركِى مكَّةَ علَى التعرُّضِ لهُ .

رحلةُ الإسْرَاءِ والمِعْراجِ

اشتدت الأحزانُ بالرَّسول ﷺ ، وآلَمهُ عنَادُ قومِهِ وقَسْوةُ قلوبهِمْ وإصْرارِهم علَى الكُفْرِ ، وذَاتَ ليلةٍ ، وبينَما النبىُّ ﷺ نائمٌ إذْ أيقَظهُ جبريلُ وأركَبهُ دابَّةً بيضَاءَ ذاتَ جَناحَيْنِ تُعْرفُ بالبُرَاقِ .

انطلَقَ البُراقُ فِى سُرْعةٍ رَهيبةٍ حتَّى وَصَلَ إلَى بيتِ المقْدسِ بفلَسطِينَ فِى زَمنٍ قَصيرٍ جِدًّا ، دخلَ النبىُّ ﷺ المسجِدَ الأقْصَى

فَرأى الخَليلَ إبراهيمَ والكليمَ موسَى والمسيحَ عيسَى وجميعَ الأنْبيَاءِ عليهم السَّلامُ ينتظرُونَهُ دَاخلَ المسْجدِ.

سَلَّم محمدٌ ﷺ علَى أنبيَاءِ اللهِ، وصَلَّى بِهِمْ إمَامًا، ثُم أحضَر إليْهِ جبريلُ إنَاءَيْنِ بأحَدِهمَا خَمْرٌ وبالآخَرِ لَبنٌ.. اخْتَارَ النبىُّ ﷺ إنَاءَ اللَّبنِ وشَرِبَهُ.

قَالَ جبريلُ: هُديتَ للفِطْرَةِ، وهُديتْ أمتُكَ يا محمدُ، وحُرِّمتْ عليكُمُ الخمْرُ.

وعُرِجَ بالرَّسولِ ﷺ إلَى السماءِ عاليًا مُخترقًا السُّحُبَ فِى سرعةٍ خاطِفَةٍ لا تدركُهَا الأبْصَارُ، وأخذَ يرتفِعُ ويرتفعُ مُجْتازًا مئاتِ الآلافِ مِنَ الأميالِ فِى ثوانٍ معدودةٍ.

وَصَلَ إلَى السماءِ الأولَى فرأَى النبىُّ ﷺ آدمَ عليهِ السلامُ، فسلَّمَ عليهِ ورحَّبَ بهِ، وصعدَ إلَى السماءِ الثانية فسلَّمَ علَى يَحْيىَ وعيسَى عليهِمَا السَّلامُ فرحَّبا بهِ.. وسلَّمَ علىَ يوسُفَ عليهِ السَّلامُ فى السماءِ الثالثة، وعلَى إدْريسَ عليهِ السَّلامُ فِي السماءِ الرابعةِ، وعلَى هارُونَ عليهِ السَّلامُ فِى السماءِ الخامسةِ، وعلَى موسَى عليهِ السلامُ فِى السماءِ السادِسَةِ، ثُمَّ صعَدَ إلَى السماءِ السابِعَةِ، وسلَّم علَى إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ فرحَّبَ بهِ.

واقتربَ منْ عَرشِ الرحْمنِ حتَّى صارَتِ المسافَةُ مقدَارَ قَوْسيْنِ أوْ أدْنَى ، خرَّ النبىُّ ﷺ سَاجداً خاشعًا لله تَعالىَ ، وفرضَ اللهُ عليه الصلاَةَ . . خَمْسَ صَلواتٍ فِى اليومِ والليلةِ فرضٌ علَى كُلِّ مُسْلمٍ ومُسْلمةٍ .

عادَ النبىُّ ﷺ إلَى مكَّةَ فِى ذات الليلةِ ، ومَع نَسَماتِ الصباحِ أخبَرَ قريشًا برحْلَتِه العجيبَةِ ، تعَجَّب المشركُونَ وتساءَلُوا فِى ذُهُولٍ : كَيْفَ يذْهبُ محمدٌ منْ مكَّةَ إلَى الشَّامِ فِى ليلةٍ واحدةٍ ونحنُ نَقْطَعُ تلكَ الرحلةَ فِى شَهْريْنِ .

وجَاَ الكفارُ إلَى أبى بكرٍ الصِّديقِ وقالُوا لهُ : زَعمَ صاحبُك أنَّهُ قدْ جاءَ هَذهِ الليْلةَ بيتَ المقْدسِ ، وصلَّى فيهِ ثُم رجعَ إلَى مكَّةَ !

قالَ أبُو بكرٍ : والله لئنْ كانَ قالهُ لَقدْ صَدقَ .

أرادَ النبىُّ ﷺ أنْ يُثْبتَ لهمْ صدْقَهُ ، فأخبَرَهُمْ عنْ قافلَةٍ لَهُمْ رآهَا فِى رحلَتِه ووصَفهَا لهُمْ ، لكنَّ القومَ ازْدادُوا عنَاداً وكفراً ، وسألُوهُ أنْ يَصفَ لَهُمْ بيْتَ المقدسِ . . وحدثَتِ المعْجزَةُ فأظْهَر اللهُ تَعالَى صُورَةَ بيتِ المقدسِ أمامَ النبىِّ ﷺ وحدَهُ ، لأنَّهُ لمْ يَكُنْ قدْ حَفِظَ زَوايَا وأركَانَ المسْجدِ فِى رحلَتِه الخَاطفَةِ تلكَ .

استغرقَ النبيُّ ﷺ فِي وَصْفِ المسجدِ جزءًا جزءًا ، وكأنَّهُ داخِلُهُ وأبَى الكُفارُ تصديقهُ وهَتفَ أبُو بكرٍ : صدَقْتَ .. أشْهدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ .

أطلقَ النبيُّ ﷺ علَى أبِي بكرٍ منذُ ذَلكَ اليومِ « الصِّدِّيقَ » وذلكَ لِتَصْديقه لَهُ .

بَيْعَتَا العَقَبة

أخذ النبيُّ ﷺ يدعُو القبائلَ الوَافِدَةَ إلَى مكَّةَ فِي موْسِمِ الحجِّ ، وفِي العامِ الحادِي عَشرَ مِنْ نُبُوَّتِه دَعَا ستَّةَ رجَالٍ مِنْ يَثْرِبَ فآمَنُوا بِهِ وعادُوا إلَى بِلادِهِمْ ودَعَوا قومَهُمْ فانْتشَرَ خَبَرُ النبيِّ ﷺ فِي يثْرِبَ .

فِي الموسِمِ التَّالِي أقْبلَ اثْنَا عَشَر رجُلاً مِنْ يثْرِبَ وأسْلمُوا وبايَعُوا النبيَّ ﷺ فِي مكانٍ يُعْرفُ بالعَقَبَة ، وتعَهَّدُوا ألا يُشْركُوا باللهِ وألا يَسْرِقُوا وألا يَرْتَكِبُوا المعَاصِيَ ، وعُرِفتْ تلكَ البَيعَةُ ببَيْعةِ العَقَبةِ الأولَى .

وفِي الموْسمِ الثالِثِ اجتَمعَ ثلاثَةٌ وسَبْعُون رجلاً وامرأتَانِ مِنْ يثرِبَ مع النبيِّ ﷺ سِراً ، وبايعُوهُ علَى السَّمْعِ والطَّاعةِ والأمْرِ

بالمعـرُوف والنَّهي عنِ المنكَرِ ، وقـامَ القَـوْمُ يُصَـافِحُـونَ النبيَّ ﷺ ويُبـايعُـونَهُ وعرَضُـوا عليـهِ الإقامَـةَ فِي يثْربَ ، وتعـهَّـدُوا أنْ ينصُـرُوهُ ويدافعُوا عنْهُ .

لكنَّ بعـضَـهُم خَـشِيَ أنْ يتـرُكَ الـنبيُّ ﷺ يثْربَ بـعْدَ أنْ ينتَـشِرَ دِينُهُ ، فتَبسَّمَ الرَّسولُ ﷺ وقالَ : « أنَا منكُمْ وأنتُمْ منِّي .. أُحَاربُ مَنْ حَاربتُمْ ، وأُسَالِمُ منْ سَالمتُمْ » واختَار القومُ اثْنا عَشَر زعيمًا منهُمْ يتَعهَّدُون بتنفِيذِ شُرُوطِ البيْعةِ ، وانصَرفُوا رَاضِينَ مطمَئنِّين فَرِحينَ بِهجْرَةِ الرسُولِ ﷺ إليهِمْ .

الهِجْرَةُ إلَى المدِينَةِ

بايَعَ أهْلُ المدينَةُ النبيَّ ﷺ ودَعَوْهُ للإقَامَةِ عندَهُمْ ، فأَمَرَ النبيُّ ﷺ أصحَابَهُ بالهجرةِ إلَى يَثْرِبَ (المدينَة) وقالَ لَهُمْ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قدْ جعلَ لكُمْ إخْوَانًا ودارًا تأمنُونَ بهَا » .

وتوافَدَ المهاجِرُونَ إلَى المدينَةِ فراراً بدينِهِمْ ، وانتظَرَ النبيُّ ﷺ أمرَ ربِّهِ بالهِجْرَةِ ، ومكَثَ معَهُ صاحِبُهُ أبو بكرٍ الصدِّيقُ .

جُنَّ جنونُ المشركِينَ حينَ عَلِمُوا بأمْرِ الهِجْرَةِ ، فاجْتَمعُوا فِي دارِ

النَّدْوَةِ ، وانْدَسَّ بَينهُمُ الشيطَانُ فِي صورَةِ شَيْخٍ مِنْ نَجْدٍ ، وتَآمَرُوا علَى النبيِّ ﷺ فقالَ أحَدُهُمْ :

ـ نُقَيِّدُ محمدًا بالحديدِ ونحبِسُهُ ، فلاَ يَصِلُ إليْهِ أحَدٌ .

قالَ الشيطانُ : ما هَذَا برَأْيٍ .. فقدْ ينزِعُهُ أصحَابُهُ مِنْ بَيْنِ أيدِيكُمْ .

قالَ رَجُلٌ آخَرُ : نَنْفيهِ مِنْ بِلاَدِنَا ونرتَاحُ مِنْ أمرِهِ .

قالَ الشيطَانُ : ما هذَا برَأْيٍ .. فربَّمَا يَتَّبِعُهُ العربُ ثُم يسيرُ إليكُمْ فيقْضِي عليكُمْ .

قالَ أبُو جَهْلٍ : نأخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا قويًّا ، ثُم نعطيهِ سَيْفًا صارِمًا فيضْرِبُونَ محمدًا ضربَةَ رجُلٍ واحدٍ فيقتُلُونَهُ ، وبذلكَ يتفرَّقُ دَمُهُ بينَ القبَائلِ فلاَ يستَطيعُ أهلُهُ محارَبَةَ جميعِ القبائلِ .

صاحَ الشيطانُ : هذَا الرَّأْيُ لاَ رَأْيَ غيرُهُ .

نزلَ جبريلُ عليهِ السلاَمُ فأخبَرَ النبيَّ ﷺ بالمؤَامَرَةِ ، وأمرَهُ ألاَّ يَبيتَ فِي فراشِهِ ، وأنْ يستَعِدَّ للهِجْرَةِ .

وفي الليْلِ وقفَ المشركُونَ ببابِ الرسولِ ﷺ ينتظِرُونَهُ فِي قَلَقٍ وشَوْقٍ مَلِيءٍ بالحِقْدِ .

ونَامَ عَلىٌّ بنُ أبى طَالِبٍ فِى فِرَاشِ الرسولِ ﷺ الذى طَمْأَنَهُ بأَنَّهُ لَنْ ينالَهُ أذىً مِنَ المشركِينِ ، وأَوْصَاهُ أَنْ يرُدَّ الأمَانَاتِ المحفُوظَةَ عندَ النبىِّ ﷺ إِلَى أهْلِهَا .

فتحَ محمدٌ ﷺ بابَ بيتِه وخَرجَ والكُفَّارُ لاَ يرَوْنهُ ، فَقَدْ أعْمَى اللهُ أبصارَهُمْ فِى تلكَ اللحظَاتِ .

نَثرَ النبىُّ ﷺ بعضَ التُّرابِ فوقَ رءُوسِهِمْ وهُوَ يتْلُو قولَهُ تعالَى :

﴿ يسٓ ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ③ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ④ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ⑤ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ⑥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ⑦ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ⑨ ﴾ [يس]

انطَلَقَ الرسولُ ﷺ إِلَى دارِ أَبِى بكرٍ وقالَ لَهُ : «إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِى فِى الخُرُوجِ والهِجْرَةِ» .

قالَ أبو بكرٍ : الصُّحْبَةَ يَا رسولَ اللهِ .

قالَ الرسولُ ﷺ : الصُّحْبَةَ .

وانهَمَرتْ دموعُ أبِى بكرٍ مِنْ شدَّةِ الفرَحِ فَأَسْرَعَ يجهِّزُ أمتعَةَ الرحلَةِ ، انطلَقَ المهاجِرَانِ مِنْ مكةَ وقَصَدَا غارَ ثَوْرٍ ، فأقَامَا فيهِ ثلاثَةَ

أيامٍ حتَّى تهدأ الأمُورُ فِى مكةَ ، وكانت أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ تُحضرُ الطعَامَ وعبدُ اللهِ أخُوهَا يخبرهُما بمَا تتحدَّثُ بهِ قريشٌ .

شَبَّتْ نيرَانُ الغضَبِ فِى قريشٍ ، وخرجَ زعماؤُهَا بحثًا عَنِ الرسولِ ﷺ وصاحِبِهِ ، وحينَ توقَّفُوا أمامَ غارِ ثوْرٍ همَسَ أبُو بكرٍ : لَوْ نظرَ أحدُهُمْ تحتَ قدَمَيْهِ لرآنَا .

قالَ الرسول ﷺ : « لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا » .

وأعمى اللهُ أبْصَارَ المشركِينَ عَنْ رؤيَةِ النبىِّ ﷺ وصاحِبِهِ فعَادُوا ورَصَدُوا مكافَأةً قدرُهَا مائَةُ ناقَةٍ لِمَنْ يَرُدُّ المهاجرَيْن .

واشتدَّ البحثُ طَمَعًا فِى المكافَأةِ ، لكنَّ النبىَّ ﷺ سَلَكَ طريقًا طويلاً وَعْرًا ، وشائكًا لا يعرِفُهُ أهلُ مكةَ ، وكانَ معهُ الدليلُ الماهرُ عبدُ اللهِ بنْ أُرَيْقِطَ إلاَّ أنَّ أحَدَ العَرَبِ رَآهُ فأخْبَرَ سُرَاقَةَ بْنَ مَالكٍ بمكةَ .

انْطَلقَ سُرَاقَةُ يسابِقُ الريحَ ، وحينَ اقتَربَ مِنَ الرسولِ ﷺ غَاصَتْ أقدامُ فَرَسِهِ فِى الرمالِ فَسقَطَ مَنْهَا .

قامَ سُرَاقَةُ وأخرَجَ فَرَسَهُ وانطَلَقَ بهَا وحينَ اقتَرَبَ مِنَ النبىِّ ﷺ

غاصَتْ أقْدامُ الفرسِ للمرةِ الثانيةِ وسَقطَ عَلى الأرضِ .. وقفَ سُرَاقَةُ وحَاوَلَ أنْ يُكَرِّرَ محاولَتَهُ للمرةِ الثالثةِ فنَالَ نَفْسَ الجَزاءِ وعندئذٍ أدرَكَ أنَّ محمداً عَلى حقٍّ، وأنهُ لَنْ يَصِلَ إلَيْهِ ..

ندمَ الرجُلُ عَلى فَعْلَتِهِ واعتَذرَ للرسولِ ﷺ وقفَلَ عَائداً إلَى مكةَ.

استأنَفَ الرسولُ ﷺ رحْلَتَهُ وفِى الطريقِ مرَّ بخَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، وكانَتْ عَجُوزًا تُطْعِمُ وتَسْقِى المارِّينَ بِهَا، ولكِنْ لَمْ يكُنْ لَدَيْهَا سِوَى شاةٍ هَزِيلَةٍ فِى ذلكَ اليومِ.

مَسَحَ الرسولُ ﷺ ضَرْعَ الشَّاةِ بِيدِهِ ثُم سَمَّى اللهَ ودعَاهُ وضَغَطَ عَلى ضَرْعِ الشَّاةِ الهزيلَةِ يَحْلبُهَا فامتَلأَ الإناءُ باللَّبَنِ وارتَوَى الجميعُ.

استَأْنفَ النبيُّ ﷺ رحلَتَهُ حتىَّ قَدِمَ قريَةَ قُبَاءَ يومَ الاثْنَيْنِ فأقَامَ بِهَا أربَعَةَ أيامٍ، وبنَى مَسْجِدَهُ بِهَا، وفِى يومِ الجُمُعَةِ دَخَلَ النبىُّ ﷺ المدينَةَ وكانَ أهْلُهَا يخرجُونَ كُلَّ يومٍ مُنْذُ الصباحِ انتظاراً لقُدُومِهِ حتَّى يَشْتَدَّ الحَرُّ.

اسْتَقبلَتِ الجُمُوعُ النبىَّ ﷺ بالتكْبيرِ وهَتَفَتْ :

طَلَعَ البَــــدْرُ علينَا   مِنْ ثَنِيَّــــاتِ الوداعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ علينَا   مَــا دَعَــا للهِ دَاعْ
أيُّهَـا المبعُوثُ فينَا   جِئْتَ بالأمرِ المطَاعْ
جِئْتَ شَرَّفْتَ المدينَةَ   مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاعْ

وتسابَقَ الناسُ إلَى ناقَةِ الرسول ﷺ ، يريدُ كُلُّ واحدٍ منهُمْ أنْ يُضَيِّفَ النبيَّ فِي بيته . .

انطلَقتِ الناقَةُ فِي طُرُقَاتِ المدينَة ، وكُلَّمَا مَرَّتْ ببيتٍ أمسَكَ صاحِبُهُ بِحَبْلِ الناقَةِ وقالَ : أقِمْ عندِى يا رسُولَ الله .

فيقولُ الرسولُ ﷺ : خَلُّوا سبيلَهَا فَإنَّهَا مأمورَةٌ .

واصَلَت الناقَةُ السَيْرَ ثُم بَرَكتْ فِي أرضٍ لِغُلامَيْنِ يتيمَيْنِ فاشْتَراهَا النبيُّ ﷺ وأمَرَ أنْ يبنى عليهَا مسجداً ، ثُم أقامَ عند الصحابِيِّ أبِى أيُّوبَ الأنصارِيِّ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ ومنزِلَهُ .

النبىُّ ﷺ فى المدينَة

أقَامَ النبىُّ ﷺ فِى دارِ أبِى أيوبَ الأنصارِىّ ، وقَامَ بتنظِيم الأمورِ فِى المدينةِ فآخىَ بينَ المهاجِرينَ والأنصَارِ ، فقالَ :

ـ تآخُوا فِى اللهِ أخَويْنِ أخَويْنِ .

ثُم أخذَ بيد عَلىٍّ بن أبِى طالبٍ وقالَ : هذَا أخى .

وأمسَكَ كُلُّ مسلمٍ منَ المهاجرينَ والأنصَارِ بيدِ أخيهِ وقالَ : هَذَا أخِى ، وكَانَ على كُلِّ أنصارِىٍّ أنْ يستَضيفَ أخَاهُ المهاجِرَ فِى بيتهِ حتَّى يجدَ عمَلاً ، ويَبْنِى مَسْكنًا لأُسْرتِهِ .

وكَان يقْطُن بالمدينةِ اليهُودُ وقدْ أغَاظهُمْ قُدُومُ الرسولِ ﷺ فاجْتمعُوا لتدبِير المؤامَرَاتِ ونَشْرِ الفتَن بعدَ أنْ امتلأَتْ قلوبُهُمْ بالحِقْدِ والغِلِّ لأنَّ النبىَّ لمْ يخرُجْ منهُمْ .

كَتبَ الرسولُ ﷺ وثيقةً ينظِمُ فيهَا العلاقَات بينَ المسلمينَ واليهُودِ فَأعطَاهُمْ الأمان فِى مُمَارسَةِ دينِهمْ وحَذَّرهُمْ منْ عاقبَةِ الخيَانَةِ والغَدْرِ ، وأمَرهُمْ أنْ ينفِقُوا معَ المؤمِنِينَ مَادامُوا محارِبِينَ ،

ولليهُودِ دينهُمْ وللمسلمينَ دينهُمْ ، وأنْ لا يخرُجَ منهُمْ أحدٌ منَ المدينَة إلاَّ بإذْنِ محمدٍ ﷺ . . وأنَّهُ منْ فتَكَ فبنفْسِهِ فتَكَ وأهلِ بيتِه إلا منْ ظُلمَ .

وهكذا استَقرَّت الأمُورُ داخلَ المدينة ، إلاَّ أنَّ الحُمَّى أصَابتْ عدداً منَ الصحابَة وشَعرَ بعضُهُمْ بالحَنينِ إلى مكةَ ، فَدَعَا النبىُّ ﷺ ربَّهُ أنْ يرفَعَ البَلاءَ عنِ المدينة ، وقالَ : «اللهُمْ حَبِّبْ إلينَا المدينةَ كَمَّا حَبَّبْتَ إلينَا مكةَ أوْ أشَدَّ» .

وهكَذا أصبَحت المدينةُ المنوَّرةُ عَاصِمةَ الدولةِ الإسلاَمِيةِ وتفرَّغَ النبىُّ ﷺ لنَشْرِ الإسلامِ خَارِجَ العاصِمةِ .

غَزْوَةُ بَدْرٍ

ثارَتْ قُريشٌ حينَ علمتْ باستقرَارِ النبىِّ ﷺ وأصحابِه فى المدينَة وأخذَتْ تُحرِّضُ اليهودَ وتَحيكُ المؤامَرات وتنْصِبُ المكَائد ، وحَرَّضَ المشرِكُونَ عبْد الله بن أُبَىٍّ بن سَلُول زعيم اليهودِ عَلَى قتال المسلمينَ وطردِهِمْ منَ المدينَة .

هددتْ قريشٌ المسلمينَ ، وأرسلَتْ لهُمْ تقولُ : - لا يَغُرَّنَّكُمْ أنَّكُم أفْلتُّمُونا إلى يَثْرب وسنَأتِيكُمْ فَنسْتأصِلُكُم فِى عُقْر دَارِكُم.

خَشِي المسلمونَ الخَطرَ علَى النبيِّ ﷺ فالتَفُّوا حَوْلَهُ يَحرُسُونَهُ عِنْد نَوْمِه ويقَظته حَتى نَزَل قولُهُ تعالىَ : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة]

وأنَزلَ اللهُ تعالى أمرَهُ بالقِتَال والجِهَادِ فِي سبيلِه فقالَ :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة]

وفِى تلكَ الأثناءِ كانَتْ قافِلَةٌ عَظيمةٌ لقريشٍ قادمةٌ منَ الشَّامِ يقُودُهَا أبُو سفيَانَ بنُ حرب ، وفيهَا أموالٌ وتجَارةٌ عظيمةٌ.

وكَان المهاجِرونَ قدْ تركُوا أموالَهُمْ فِى مكةَ قَبْل الهِجرةِ فاسْتولَى عليْهَا المشركونَ.

خرجَ المسلمونَ لملاقَاة القافِلَة وتأديبِ المشركينَ وحينَ عَرفَ أبو سفيان بالأمْرِ أرسَلَ إلى مكةَ رسولاً يُخبرُهُمْ بالخَطَر الدَّاهِم.

هبَّ كفارُ مكةَ يلبُّونَ نداءَ أبى سفيان فخرجَ تسْعُمائَةٌ وخمسُونَ مقاتلاً يحملُونَ الرِّمَاحَ والسيُوفَ ومعَهُمْ مَائتَا فَرسٍ.

خرجَ النبيُّ ﷺ في جيشٍ عددهُ ثلاثُمائةٍ وبضعةَ عَشَر رجُلاً ولمْ يكُنْ معهُ سوىَ فرسَيْنِ فقطْ وسبعْينَ بعيراً .

دفعَ النبيُّ ﷺ لواءَ القيادَة الأبيضَ إلى مصعب بن عمير ، وقَسَّم جيشَهُ إلى فرقَتَيْن .. فرقة المهَاجرينَ ويحملُ رايَتَها عليُّ بن أبي طالبٍ ، وفرقة الأنصَارِ ويحملُ رايَتهَا سعدُ بن معاذٍ .

انطلقَ النبيُّ ﷺ بجيشِه وحينَ بلغَهُ خَبرُ جَيشِ المشركينَ الضَّخْم اجتمعَ معَ أصحَابِه واستَشارَهُمْ في أمرِ المعركَة ، فقالَ المقدَادُ بن عَمْرٍو منَ المهاجرينَ :

يَا رسُولَ الله ، امْضِ لمَا أرَاكَ اللهُ فنحنُ معَك ، واللهِ لا نقُولُ لكَ كمَا قَالتْ بنُو إسرائيلَ لموسَى : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة] ولكنْ اذْهَبْ أنتَ وربُّك فقَاتِلاَ ، إنَّا معَكُما مقاتِلُون .

التفتَ النبيُّ ﷺ إلى الأنصَارِ ، فقالَ زعيمُهُمْ سعدُ بن مُعاذٍ :

قدْ آمنَّا بكَ وصدَّقْنَاك ، وشهدْنا أنَّ ما جِئْتَ بِه هُو الحقُّ ، وأعطَيْنَاك على ذلكَ عهُودَنا ومواثيقنَا علَى السَّمْع والطَّاعة ، فَامْضِ يَا رسُول اللهِ لمَا أردْتَ فنحنُ معكَ ... فَسرْ علَى بركَة اللهِ .

سُرَّ الرسولُ ﷺ بقولِ المقداد وسعد وقالَ : سيرُوا وأبْشرُوا .

نزلَ النبىُّ ﷺ بالجيشِ قريبًا منْ بَدْرٍ ، وأرسَلَ فِرقَةَ اسْتطْلاعٍ إلى البئرِ فأسَرتْ غُلامَيْنِ منْ قريشٍ ، واعْترفا بمكَانِ تجَمُّعِ جيشِ المشركينَ لكنَّهُما لمْ يعرِفَا عددَهُمْ .

سألهُمْ الرسولُ ﷺ : كمْ ينْحَرُون كُلَّ يوْمٍ ؟

قالَ الغلامَانِ : يومًا تسْعًا ويَومًا عَشْرًا .

فقالَ الرسولُ ﷺ : القومُ فيمَا بينَ التِّسْعمائَةِ والألْفِ .

ثُم سألَهُما النبىُّ ﷺ عنْ أشْرافِ قريشٍ بالجَيشِ فأخبَراهُ .

وأقبَلَ أبو سفيان بقَافِلَتِهِ ، ولَمَّا اقترَبَ منْ بِئْرِ بدْرٍ عَرفَ بتَجمُّعِ المسلمينَ ، ففرَّ هارِبًا منْ طريقٍ آخرَ ، والتَقى بزُعمَاء قريشٍ وقالَ لهُمْ :

إنَّكمْ إنَّما خَرجْتُمْ لتَمنعُوا عِيرَكُمْ ورِجَالكُم فقدْ نجَّاها اللهُ فارْجِعوا .

فقالَ أبو جَهْل فِى غُرورٍ : واللهِ لا نرْجِعُ حتَّى نأتىَ بَدْرًا فنقيمَ عليهِ ثَلاثًا ، ونطعِمَ الطعَام ، ونسقِى الخَمرَ ، وتسْمَعَ بِنَا العَربُ وبمسيرِنَا ، فلا يزالونَ يَهابُوننَا أبدًا بعدَهَا ، ومضَى المشركُون نحْوَ

بئـر بـدْر ، لكنَّ اللهِ أنزلَ أمطَارًا غـزيرةً أعـاقَتْ سـيْـرَهُمْ وعطَّلتْ تَقدُّمهُم فسبَقَهُم المسلمونَ إلى الْبئرِ.

وأشَار الصحَابيُّ الحُبَاب بنُ المنذر على النبيِّ ﷺ أنْ يبنى حَوْضًا بجوارِ البئْر ، بحيثُ يَصلُ إلْيهِ ماءُ البئـر ، وبذَلك يَحْرِمُ المسـلمونَ أعداءَهُمْ مِنَ الماءِ.

وبعثَ المشركونَ أحَدَ الكَشَّافةِ كَيْ يسْتطْلِعَ أخبَارَ جيشِ محمدٍ ﷺ ... تسـلَّل الرجُلُ وطافَ بفَـرسِـهِ حَـوْل المعَـسْكَرِ ثُمَ عـادَ وأخْبرَهُمْ بما رأى.

سَرىَ الخوفُ فِى قلوبِ الكفـارِ فخطبَ فـيهِمْ عُتبة بن ربيـعة ونَصَحهُمْ بالعودَةِ إلى مكةَ بدُون قِتَالٍ ، فَصَاحَ أبو جهل فِى غرُورٍ.

كلاَّ واللهِ لا نَرْجِعُ حتىَّ يحكُمَ اللهُ بينَنَا وبينَ محمدٍ.

وتواجَهَ الجيشَانِ ونشبَت الحرْبُ فبَرَزَ من المشركِينَ عتبة بن ربيعةَ وأخوهُ شيبةُ وابنهُ الوليد ودعَوا إلى المبارَزَة فَخرَجَ إليهم مِنْ جيشِ المسلمينَ عبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي ابن أبى طالب وبدأتِ المبارزَةُ ، فارتطَمتْ السيُوفُ وسالَتْ الدِّماءُ ، وقضَى الأبطَالُ الثلاثَةُ على المشركِينَ.

ارتَفعتْ صيْحَاتُ المسلمينَ بالتَّكبيرِ والتَحمَ الجيشَانِ وتصارَّتْ السيوفُ ، ولجأ النبيُّ ﷺ إلى ربِّه وناشَدَهُ أنْ يُحقِّق وعْدَهُ بالنَّصْرِ، وقالَ : اللهُمَّ إنْ تَهْلَك هذهِ العِصَابةُ من المسلمينَ اليوم لا تُعْبد .

وراحَ النبيُّ ﷺ فِي غفْوةٍ يسيرَةٍ ، ثُم انتبَهَ وصَاحَ فَرِحًا :

أبشِرْ يَا أبا بكرٍ ، أتَاك نصرُ اللهِ . هذا جبريلُ آخذٌ بعِنَانِ فَرسِهِ يقودُهُ ، على ثَنَاياهُ النَّقْعُ والغُبَارُ .

وأنزَلَ اللهُ تعالَى ملائِكَتَهُ مدَدًا وعونًا للمسلمينَ يُجاهِدُون معهُمْ .

انطَلقَ النبيُّ ﷺ يحضُّ المسلمينَ على القِتَالِ فيقولُ : «والذى نَفْسُ محمدٍ بيدِهِ لا يقاتِلُهم اليومَ رجَلٌ فَيُقْتلَ صَابراً محتَسبًا ، مُقْبلاً غيرَ مُدْبرٍ ، إلا أدخَلهُ اللهُ الجَنَّةَ» .

اشتَعَلتْ حماسَةُ المسلمينَ حينَ سَمِعُوا قولَ النبيِّ ﷺ وقالَ الصحابيُّ عُميرُ بنُ الحُمامِ ، وكَانَ فى يدِهِ تَمرَاتٌ سيأكُلهُنَّ : بَخٍ بَخٍ ، أفَما بينِى وبينَ الجَنَّةِ إلاَّ أنْ يقتُلنِى هؤلاءِ ، قذفَ عُميرٌ بالتمْراتِ ثُم اخترقَ صفُوفَ الأعداءِ بسيفهِ وقَاتلَ ببسَالةٍ نادرةٍ حتى استُشْهِدَ .

انقضَّ المسلمونَ على الأعداءِ فِي شجاعَةٍ فائِقةٍ واشتدَّتِ المعركَةُ ورجَحتْ كفَّةُ جُنْدِ اللهِ فتحقَّقَ النَّصْرُ وتطهَّرَتِ الأرضُ منْ زُعماءِ الكُفْرِ.

ارتفعَتْ صيْحَاتُ التَّكبيرِ والنَّصْرِ وتفقَّدَ النبيُّ ﷺ القَتْلَى منَ الكُفَّارِ وصرَخَ فيهِمْ : « يا أهْلَ القَليبِ ، يا عُتبة بن ربيعَةَ ، ويا شيبةَ بن ربيعة ، ويا أُمية بن خلفٍ، ويا أبا جهلٍ ... هلْ وجدتُمْ مَا وعدَ ربُّكُمْ حَقًّا ، فإنِّي قَدْ وجدْتُ مَا وعَدَني ربِّي حَقًّا » .

تعجَّب المسلِمونَ لأنَّ النبيَّ ﷺ ينادِي القَتلَى فقالَ لهُمْ :

مَا أنتُمْ بأسْمَع لِمَا أقولُ منهُمْ ، ولكنَّهُمْ لا يسْتَطِيعُونَ أنْ يُجِيبُوني.

وعَادَ جيشُ المسلمينَ المظفَّرُ إلى المدينَةِ يجرُّ الأسْرَى ويحمِلُ الغَنَائم ، وَيتَلقَّى التَّهَانِي.